مجلة افاق للعلوم | المجلد 05 / العـدد: 18 (2020)، ص 129- 136

تاريخ الاستلام: 2019/10/31 | تاريخ القبول: 2019/11/09

أصول التداولية في التراث العربي

The origins of deliberation in the Arab heritage

د.صورية جغبوب

د. مريم بوقرة

جامعة خنشلة

ملخص:

المعروف أن الاتجاه التداولي اتجاه غربي، وأفكاره غربية، غير أن الباحثين لم يتوقفوا عند مجرد تلقي هذا الوافد الجديد، وإنما غيروا زاوية الرؤية، وتوجهوا نحو التراث العربي القديم، واحتضنوا أفكار علماء العربية القدامى محاولين بذلك البحث عن جذور التداولية عندهم. وقد تبين أن التراث العربي زاخر بالأفكار التداولية حيث تحضر أفعال الكلام عند البلاغيين والأصوليين في دراستهم لأسلوب الخبر والإنشاء وغيرها من القضايا.

الكلمات المفتاحية:

التداولية؛ أفعال الكلام؛ الخبر؛ الإنشاء؛ الافتراض المسبق.

Abstract:

It is known that the deliberative trend is western, and its ideas are Western, but the researchers did not stop at the mere receipt of this newcomer, but changed the angle of vision, and went to the ancient Arab heritage, and embraced the ideas of ancient Arab scholars trying to search for the roots of deliberation in them. It has been shown that the Arab heritage is full of deliberative ideas, where the actions of speech among the rhetoric and fundamentalists in their study of the style of news and construction and other issues.

key words: Deliberative; verbs of speech; news; creation; presupposition

المؤلف المرسل: د.صورية جغبوب، الإيميل: sorayadjaghboub@gmail.com

مقدمة

لقد شهد الدرس اللساني الحديث ظهور مجموعة من الاتجاهات اللسانية، فبعد الأفكار التي جاء بها فرديناند دي سوسير اتجه الباحثون إلى الاهتمام بدراسة اللغة، فمنهم من تبنى أفكاره وطورها، ومنهم من جاء بأفكار مغايرة.

ومن بين هده الاتجاهات التداولية التي نشأت في أحضان الفلسفة التحليلية* والدراسة اللغوية، وهذا الاتجاه يختلف عن سابقيه في العديد من النقاط.

لقد كانت الدراسات اللغوية من زمن دي سوسير ـوحتى قبله ـ تهتم ببنية اللغة في ذاتها، مهملة الظروف المفرزة لها، ثم بدأت الدراسات بالإقرار بالمعنى وإدخاله حيز الدراسة اللغوية ولعل ذلك يظهر جليا مع المدرسة السياقية، كذلك بدأ الاهتمام بالعملية التواصلية وكان ذلك مع جاكبسون في حلقة براغ. وتعتبر التداولية من التوجهات اللسانية التي تهتم ببنية اللغة والعملية التواصلية وكذلك السياق، وبالتالي كانت الفكرة الجوهرية التي انطلق منها هذا الاتجاه هي دراسة اللغة في الاستعمال.

لقد برز هذا الاتجاه في الدراسات العربية الحديثة في المشرق العربي والمغرب العربي على حد سواء؛ فنجد في المشرق أحمد محمود نحلة، وفي المغرب العربي نجد العديد من الأسماء مثل طه عبد الرحمن في المغرب، ومسعود صحراوي في الجزائر؛ وقد كان لهؤلاء فضل في تبسيط التداولية الحديثة للباحثين الجدد، والبحث عن جذور التداولية في التراث العربي القديم.

فما هي التداولية؟ وكيف عرفها علماء العربية حديثا؟ وكيف ظهرت فكرة "أفعال الكلام" تحديدا في التراث العربي القديم؟

2. 2-المفاهيم المتعلقة بالتداولية:

2-1 تعريف التداولية:

لغة: من مصدر دول، وجاء في لسان العرب: تداولنا الأمر: أخذناه بالتداول، وقالوا: دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، وتداولته الأيدي أي أخذته هذه مرة وهذه مرة ...[1]

وجاء في الكشاف للزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: " إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدِ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الذِينَ آَمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ " آل عمران. الآية 140. نداولها: نصرفها بين الناس، نديل تاره لهؤلاء وتارة لهؤلاء... يقال داولت بينهم الشي فتداوله[2].

من خلال التعاريف المقدمة يتضح لنا أن مصطلح التداولية لغة مأخوذ من المصدر دول، ويدل على: المداولة على الأمر، التصريف بين الناس... والملاحظ على التعاريف اللغوية المقدمة أنها تتفق في فكرة الاشتراك في الشيء، فجاء في لسان العرب تداولته الأيدي أي أخذته مرة هذه ومرة هذه، كذلك عند تفسير كلمة "نداولها" في الآية الكريمة بمعنى نصرفها بين الناس... وفكرة الاشتراك تستدعي شخصين أو أكثر، فالكلام المتداول مثلا يكون بين شخصين أو أكثر، وقد قام مجموعة من اللسانيين بربط التعريف الاصطلاحي باللغوي، في حين أعطى البعض تعاريف أخرى للتداولية. فلقد أخذت التداولية كمصطلح حديث عدة تعريفات، وعدة ترجمات.

اصطلاحا: التداولية كمصطلح أخذت اهتمام العديد من الباحثين، وقد عرفت عدة تعريفات، غير أنها في أغلبها مرتبطة بالعملية التواصلية بين كل من المتكلم والمتلقي.

فهناك من يعرفها بأنها: " دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية. هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية..."[3]

أما طه عبد الرحمن فيعرفها بقوله: " ... التداول عندنا، متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا وزمنيا لحصول التواصل والتفاعل"[4]

ونجد محمود أحمد نحلة قد جمع في كتابه " **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**" مجموعة من التعاريف التي تقدم هذا المصطلح، محاولا تلخيصها في تعريف جامع موجز، يقول: " من هنا كان أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في **تداول** negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في في كلام ما"[5]

لقد شهد مصطلح التداولية عدة تعريفات، غير أن الملاحظ أنها في مجملها تقر بأن هذا الاتجاه يدرس اللغة حين التواصل ويهتم بطرفي العملية التواصلية (المتكلم والمتلقي)، إضافة إلى اهتمامها بالسياقات المحيطة بالخطاب أثناء عملية التواصل.

إلى جانب الأسماء البارزة في الوطن العربي ممن اهتم بهذا التوجه، نجد في الجزائر "مسعود صحراوي" الذي يعرفها بقوله: "... علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثَمَّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة **"التواصل اللغوي وتفسيره"**[6]

الملاحظ إذا أن مصطلح التداولية قد شهد عدة تعريفات تتنوع فيما بينها، إلا أن المشترك بينها هو أن هذا التوجه يهتم بدراسة اللغة حال التواصل (أي حال الاستعمال والتداول)، وبهذا فهو يهتم بكل من المتكلم والمتلقي باعتبارهما ركني عملية التواصل والاهتمام بالظروف المحيطة بهذه العملية، إلى جانب التركيز على بنية اللغة. وبالتالي هذا الاتجاه قد ضم أفكار الاتجاهات التي سبقته من خلال تركيزه على دراسة اللغة وسياقاتها ووظيفتها الأساسية.

لقد عرفت التداولية عدة تسميات، منها البراغماتية، النفعية، التداولية،... غير أن طه عبد الرحمن اختار مصطلح التداولية من بين المصطلحات التي أطلقت على هذا التوجه، يقول: وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي **"الاستعمال"** و **"التفاعل"** معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذو يدرجونه في أبحاثهم"[7]

وبهذا يكون مصطلح "التداولية" هو الأقرب إلى مفهوم هذا الاتجاه وما يقوم عليه؛ فهذا الاتجاه يهتم بدراسة اللغة حال الاستعمال مع الاهتمام بالظروف المحيطة، ومصطلح التداول يعبر أكثر على معنى استعمال اللغة والتفاعل بين طرفي العملية التواصلية.

2- 2مهام التداولية: لقد اهتم التداوليون بالمهام التي تؤديها التداولية، و لخصوها في النقاط التالية:[8]

دراسة "استعمال اللغة"، التي لا تدرس "البنية اللغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، من حيث كونها "كلاما محددا" صادرا من "متكلم محدد" وموجها إلى "مخاطب محدد" بـ "لفظ محدد" في "مقام تواصلي محدد"، لتحقيق "غرض تواصلي محدد". وبالتالي مهمة التداولية الأولى هي دراسة اللغة في الاستعمال؛ أي حال التواصل من خلال الاهتمام بالمقام الذي قيل فيه الكلام إلى جانب الاهتمام بعناصر العملية التواصلية (المرسل، المرسل إليه، الرسالة، الهدف)

شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات؛ وعليه فإن بعض الدارسين يعولون على التداولية في تحقيق مجموعة من الرهانات تعبر عنها الأسئلة التالية:

كيف نصنف الاستدلالات في عملية التواصل، علما بأن الاستدلالات التداولية غير واقعية، وربما كانت غير مقنعة في كثير من الأحيان؟

ما هو نموذج التواصل الأمثل؟ (أهو الترميز أم الاستدلال؟)

ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة والتواصل والإدراك؟ وما هي العلاقة بين الفروع المعرفية المشتغلة بهذه الأنشطة (أي علم اللغة وعلم التواصل وعلم النفس المعرفي)؟

هذا إلى جانب مجموعة من المهام الأخرى، غير أن الملاحظ أن مهمة التداولية الأساسية هي دراسة استعمال اللغة وتتبع العملية التواصلية.

3-3 عناصر التداولية

للتداولية مجموعة من العناصر، وسنتناول كل عنصر باختصار:

الاستلزام الحواري: أحد العناصر التداولية، وترجع نشأته إلى "جرايس" وكانت الفكرة التي جاء بها جرايس في هذا الشأن أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، وبهذا فجرايس وضح أن ثمة اختلاف بين ما يقال What is said ، وما يقصد What is meant؛ فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية Face values، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال[9]. إذا الكلام يتضمن معنيين معنى صريح ومعنى ضمني، فقد يكون المعنى الضمني للكلام هو المعنى الصريح نفسه، فيكون الكلام الصريح هو ما يقصده المتكلم، وقد يكون المتكلم يقصد عكس ما يقوله؛ أي أن المعنى الصريح يختلف عن المعنى الضمني. وبالتالي هناك اختلاف بين ما يقال وما يقصد، فقد يكون هناك توافق بينهما وقد يكون اختلاف.

الإشاريات[10]: هي أيضا أحد أهم العناصر التداولية، ويقصد بها كل ما يشير إلى ذات، أو موقع أو زمن... وهي تترابط مع مفهوم المشير؛ حيث يفهم عادة من إشارية تعيين مكان وهوية الأشخاص، والأشياء والعمليات والأحداث، والأنشطة... وغير ذلك بالنسبة إلى السياق المكاني والزماني الذي أنشأه وأبقاه عمل التلفظ، أما عن أنواع الإشاريات فنجد أن اللسانيين يتأرجحون بين ثلاثة تصورات للإشارية، ولقد وضح ذلك "دنون بوالو"، وهي:

الإشارية من حيث كونها ترد أشياء العالم وأحداثه إلى الموقع الذي يحتله المتكلم في المكان، وفي الزمان، ولأنه يوفر أمارة لمرجع قد تكوَّن بعده.

الإشارية من حيث كونها نمط تركيب مرجعي لا يفصل بين الجهة وحدث المرجع.

الإشارية من حيث كونها عامل تناسق نصي (محور، تبئير) تمكن من إدخال أشياء جديدة في الخطاب.

إذا تعد الإشاريات من أهم الأفكار التداولية، وهي تعبر عن كل ما يشير إلى ذات أو إلى مكان معين أو إلى زمان معين، أو إلى شيء ما، أو حدث ما... ذلك أن لهذه الذوات والأشياء والأمكنة والأزمنة دور في تحقيق الفهم والإفهام وبذلك تحقيق التواصل.

الافتراض المسبق: هو الآخر أحد العناصر التدولية، ويرتبط بكل من المتكلم والمخاطَب، ويقصد به أن يوجه المتكلم حديثه إلى المخاطَب (السامع) على أساس مما يفترض سلفا أنه معلوم له، والافتراض السابق قد يكون مرتبطا ببعض العبارات اللغوية دون بعض، فمثلا إذا قال شخص ما لشخص آخر: أغلق النافذة؛ فالمفترض سلفا أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبررا يدعو إلى إغلاقها (كأن تكون هناك رياح في الخارج، أو أنها تمطر...، أو أي مبرر آخر)، وأن المخاطَبَ قادر على الحركة، والمتكلم في منزلة الآمر، وكل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطَب. وبالتالي الافتراض المسبق يكون في موضوع معلوم سابقا لطرفي الخطاب ـ كما هو موضح في المثال السابق ـ ، وبهذا فالافتراض المسبق مرتبط بطرفي الخطاب وهو من شأنه أن يسهل التواصل بينهما، فإذا كان الموضوع معلوما مسبقا، وكان الحديث مبنيا على افتراض مسبق فهنا لا توجد ضرورة إلى إعادة الحديث حول الموضوع الرئيسي وإنما جملة أو عبارة كفيلة بإيصال الفكرة إلى المخاطَب.

الحجاج*: يعد هو الآخر من عناصر التداولية، ويتمثل في كل منطوق به موجه إلى الغير من إفهامه دعوى مخصوصة، حيث يحق له الاعتراض عليها، وبهذا فالحجة عنصر دلالي متضمن في القول، يقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، أما الذي يمنحها طبيعتها الحجاجية فهو السياق؛ فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق لا يمكن ان يكون حجة في سياق آخر... وقد تتحقق الحجة على شكل لفظ، كما قد تتحقق على شكل قول، أو خطاب بأكمله.[11]

3- من قضايا التداولية في التراث العربي:

3-1 نظرية أفعال الكلام

تعد نظرية أفعال الكلام** من أكبر القضايا التداولية، وتسمى أيضا بـ "النظرية الأوستينية"، وهي فكرة جاء بها أوستين، تقوم هذه النظرية على فكرة أن " الكلام يتمثل في تبليغ الغير بعض المعلومات عن الشيء الذي يتم الكلام في شأنه، لكنه يتمثل أيضا في "فعل"؛ أي محاولة التأثير في المخاطب، بل في العالم المحيط، فعوض أن نقابل الكلام بالفعل كما يقع عادة، ينبغي أن نعتبر القول في حد ذاته شكلا ووسيلة عمل"[12]، والمقصود بهذه الفكرة أن الكلام الذي نتلفظه كما أنه يتمثل في تبليغ الآخرين بمعلومات ما أو موضوع ما، فهو أيضا ليس مجرد كلام يحتاج إلى تطبيق فيما بعد، وإنما قد يكون هذا الكلام عبارة عن فعل بمجرد النطق به، نحو أن يقول والد لابنه: وهبتك سيارتي فبمجرد لفظه لـ "وهبتك" صارت السيارة ملكا للابن، فالفعل "وهب" تحول من مجرد قول إلى فعل حال النطق به. وهذا النوع من الأفعال يطلق عليه مصطلح "الأفعال الإنجازية" أو "الأقوال الإنشائية"*.

المعروف أن الاتجاه التداولي اتجاه غربي، وأفكاره غربية، غير أن بعض الباحثين لم يتوقفوا عند مجرد تلقي هذا الوافد الجديد، وإنما غيروا زاوية الرؤية، وتوجهوا نحو التراث العربي القديم، واحتضنوا أفكار علماء العربية القدامى محاولين بذلك البحث عن جذور التداولية عندهم. ومن بين هؤلاء الباحثين "خليفة بوجادي" الذي يرى أن " الحديث عن موضوع اللسانيات التداولية في التراث العربي... ضروري لبيان الامتدادات المعرفية للمدونة العربية، وتقديم جانب من الأفكار الرائدة التي عرضها علماء العربية قديما، وإن لم تكن تحظى بالاحتفاء أحيانا من لدن بعض الدارسين، احتفاءَهم بكل وافد حديث من المقولات الغربية"[13]؛ فالتراث العربي القديم زاخر بالكثير من القضايا اللسانية الحديثة، ولا عجب أن يحتوي على بعض الأفكار التي جاءت بها التداولية الحديثة، فبعض ما جاء في البلاغة العربية والنحو... ينم عن الفكر التداولي عند علماء اللغة العربية القدامى.

إلى جانبه نجد "مسعود صحراوي" الذي حاول تتبع جذور التداولية من خلال اطلاعه على بعض أفكار علماء الأصول وعلماء النحو... وقد ركز اهتمامه في كتابه على ظاهرة الأفعال الكلامية عند الأصوليين والنحاة، مهتما بذلك بظاهرة "الخبر والإنشاء"* في التراث العربي القديم.

حيث نجد أن علماء العربية القدامى اهتموا بدراسة "أفعال الكلام"، وذلك ضمن نظرية "الخبر والإنشاء"." في التراث العربي تندرج ظاهرة "الأفعال الكلامية" ضمن مباحث علم المعاني"[14]. ومنه يمكن أن نطرح التساؤلات التالية: كيف تناول علماء العربية القدامى ظاهرة "أفعال الكلام"؟ وهل ما توصلوا إليه هو ما توصلت إليه التداولية الحديثة؟

تتغنى الدراسات العربية القديمة بأفكار متنوعة تتميز بنوع من الدقة ـ بالنسبة للعصر الذي قيلت فيه ـ، وهذه الأفكار إن دلت على شيء فهي تدل على الفكر الثاقب لعلماء العربية قديما، والملاحظ على الدراسات العربية القديمة أنها لا تعرف الترتيب عند عرض القضايا اللغوية، فقد نجد في الكتاب الواحد مزيجا من علوم مختلفة، لهذا " كانت ظاهرة الخبر والإنشاء في هذا التراث حقلا مشتركا بين تخصصات علمية متعددة... فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة والبلاغيون والنحاة والأصليون "[15]، وسنحاول التعرف على بعض أفكار هؤلاء العلماء حول ظاهرة "الخبر والإنشاء" (الأفعال الكلامية).

يهتم علماء الأصول بدراسة الخطاب القرآني والخطاب في السنة النبوية الشريفة، وهم بهذا يهتمون بالأفعال الواردة في هذه الخطابات ومقاصدها، حيث " يوجد في كتبهم الكثير من الأفكار التداولية الحديثة، وقد قسم الدرس اللغوي عند الأصوليين إلى ثلاثة أنواع بحكم أن " الاعتبارات اللغوية في البحث الأصولي كثيرة متعددة المناحي"[16]، وهذه الأنواع هي كالآتي: [17]

النوع الأول: وهو الذي يتناول القضايا الدلالية المتعلقة بألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كالبحث في ما يدل عليه سياق الخطاب من إيماء وإشارة وتنبيه... وكذلك يهتم بالظواهر والعلاقات الدلالية في نصوص القرآن والسنة، والتي يحكمها قانون "التقابل"،

مثل: العام والخاص، والمقيد والمطلق، والمحكم والمتشابه... ويرى "مسعود صحراوي" أن هذا النوع من البحث اللغوي هو أقرب ما يكون في مستواه الإجرائي إلى المنهج البنيوي الحديث.

النوع الثاني: يشمل هذا النوع القضايا والمسائل النحوية كما تصورها الأصليون وخالفوا بها آراء النحاة المعتادة أو وافقوها، واهتدوا إلى كير من الحلول الموفقة لبعض المسائل النحوية، وقد اعتبر البعض نحو الأصليين هذا نحو دلالة.

النوع الثالث: ويخص الجانب التداولي من بحوث الأصوليين، و" هذا النوع قلما يهتم به الدارسون، ويطلق عليه مسمى: **"المنحى التداولي في البحث الأصولي"**، وقد توصل الأصوليون إلى اكتشاف ووضع "أفعال كلامية فرعية جديدة منبثقة" عن الأفعال الكلامية الأصلية؛ حيث لم تعرفها الثقافة الغربية المعاصرة، وسبب دلك اختلاف اللغات والثقافات .

ويمكن أن يُلاحظ بحث الأصوليين في ظاهرة "الأفعال الكلامية" ضمن نظرية "الخبر والإنشاء" عند اهتمامهم بالمتكلم و" كمراعاة قصد المتكلم وغرضه، وكمراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي وتحكيمه في الدلالات "[18]، وبالتالي المقاربة بين التداولية الحديثة والبحوث الأصولية ممكن جدا.

3-2الأفعال الكلامية المنبثقة عن "الخبر"

لقد تحدث عن هده الفكرة "مسعود صحراوي" و أعطى الكثير من الأمثلة في هذا الصدد، ليوضح مدى تجذر فكرة "الأفعال الكلامية" في تراث الأصوليين، غير أننا سنكتفي بعرض بعض الأفكار فقط.

يرى "مسعود صحراوي" أن الأصوليين " ربطوا بين الخبر وبين غيره من الأغراض والتجليات الأسلوبية المكتشفة في مجال بحثهم الخاص، مثل: الشهادة والرواية، والدعوى والإقرار، والوعد والوعيد..."[19]، وبالتالي تكون الأفعال المنبثقة عن الخبر متنوعة بين أفعال متعلقة بالشهادة وأخرى بالرواية، وأفعال الوعد والوعيد...

إضافة إلى ذلك عمد بعض الأصوليين إلى تقسيم الخبر، مثل تقسيم الآمدي؛ حيث قام بـ " تقسيم الأخبار "المتعلقة بالآثار النبوية الشريفة" إلى ثلاث قِسم:

القسمة الأولى: الخبر الصادق هو المطابق للواقع، والكاذب غير المطابق.

القسمة الثانية: ما يُعلم صدقه وما يُعلم كذبه، وما لا يُعلم صدقه ولا كذبه.

القسمة الثالثة: الخبر المتواتر وخبر الآحاد"[20].

والملاحظ على تقسيم الآمدي هذا أنه كان بالنظر إلى كلام المتكلم، وبالتالي هو اهتم بالمتكلم وخطابه ومن وجه إليه الخطاب، وكذلك اهتم بالواقع وربط به صدق الخبر وكذبه، وهذه الأفكار هي التي تُعنى بها التداولية الحديثة. ويعلّق "صحراوي على هذا التقسيم قائلا: " نلاحظ أن هذه التقسيمات الثلاث متأثرة في الأساس بالاعتبارات المنطقية والتداولية، ومن ذلك مراعاة الآمدي لـ "علاقة الكلام بالواقع الخارجي" في القسمة الأولى متجليا في مطابقة الخبر للواقع أو عدم مطابقته له، أما إذا توجهنا نحو الظواهر الكلامية المنبثقة عن الخبر عند الأصوليين نجدها كثيرة، ومنها: النفي والوعد الوعيد...

.4خاتمة:

ختاما يمكن القول أن الاتجاه التداولي كغيره من الاتجاهات الحديثة حظي باهتمام اللسانيين العرب المحدثين من أمثال محمود أحمد نحلة، وطه عبد الرحمن، وفي الجزائر نجد من الأسماء: خليفة بوجادي، ومسعود صحراوي. وقد سعى هؤلاء إلى محاولة التأصيل الدرس التداولي الغربي في التراث العربي وقد تبين فعلا أن الدراسات العربية القديمة على شموليتها إلا أنها فصلت في الكثير من قضايا علم التداولية الحديث كقضية أفعال الكلام التي نجدها تحضر في الدرس التراثي الأصولي وتحضر أيضا في التراث البلاغي من خلال قضية الخبر والإنشاء.

قائمة المراجع:

* الفلسفة التحليلية: هي نوع من الفلسفة الحديثة، ترتبط باللغة، تبنت منهجا وسطا بين الواقعية المادية والعقلانية المثالية، ورأت أن فهم الإنسان ذاته وعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة.

اهتمت هذه الفلسفة بتحليل العبارات الفلسفية والعلمية فارتبطت بالعلوم ومناهجها، وحاولت وضع منهج علمي جديد يأخذ بالفلسفة نحو الاتجاه الذي تراه صحيحا يقوم على ضوابط واقعية ومنطقية، وقد حاول فلاسفة التحليل أن يبرهنوا بوسائل منطقية أن معظم القضايا الفلسفية وجل القضايا الميتافيزيقية لا معنى لها؛ لأنها غير منطقية أو رياضية، لهذا وضع الاتجاه الفلسفي التحليلي المنطق الرياضي الجديد لتطوير المناهج العلمية الجديدة، وبناء اللغات المنطقية، وعرف بمنطق العلوم. من أبرز رواد هذا الاتجاه: كارناب. ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية) ـ دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ـ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013، ص: 43، 44.

[1] ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة دول، المجلد 11، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 252.

[2] ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009، ص: 196، 197.

[3] بهاء الدين مُحَمَّد مزيد: تبسيط التداولية: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص: 18.

[4] طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، د.ت، ص: 244.

[5] أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 2002، ص: 14.

[6] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص: 16.

[7] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص: 28.

[8] ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص:26، 27.

[9] محمود أحمد نحلة:

[10] باتريك شاروردو.

* جاء في لسان العرب، الحجُّ القصد، حجَّ إلينا فلان أي قدم، وحجه يحجه حجًا: قصده. والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دُوفِعَ به الخصم، وجمع الحجة حُجج وحجاج. واحتج بالشيء: اتخذه حجة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، المجلد 2، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 226 ـ 228.

[11] نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، ط1، 2013، ص: 104.

** أفعال الكلام: يقصد بها أن المرء يمكن له إنجاز فعل بواسطة اللغة. ينظر: باتريك شارودو ودومينيك منغو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر مهيري وحمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، تونس، د.ط، 2008، ص: 20.

تناول "مسعود صحراوي" تقسيم أوستين لـ "الفعل الكلامي الكامل"؛ حيث قسمه إلى ثلاثة "أفعال"، وهي: فعل القول (الفعل اللغوي)، الفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول.

1. فعل القول: ويقصد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة؛ ويوضح مسعود صحراوي في هذا الصدد أن فعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعروفة (الصوتي، والتركيبي، الدلالي) غير أن أوستين يسميها أفعالا: الفعل الصوتي، الفعل التركيبي، الفعل الدلالي.
2. الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنه عمل ينجز بقول ما، ويوضح صحراوي أن هذا الصنف من الأفعال هو المقصود من النظرية برمتها، وتمثله أفعال التأكيد، التحذير، الوعد...
3. الفعل الناتج عن القول: يرى أوستين أنه مع القيام فعل القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول، قد يكون الفاعل (المتكلم) قائما بفعل ثالث، وهو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد...

ولقد لخص مسعود صحراوي البنية العامة لهذه الأفعال كالآتي: "فعل القول" وبنيته (فعل صوتي "إنتاج الأصوات"+ فعل تركيبي "إخضاع الأصوات لنظام لغوي معين"+ فعل دلالي "ربط الأصوات بالدلالة").

الفعلان الثاني والثالث: الفعل المتضمن في القول وهو "القيام بفعل ما ضمن قول شيء"، والفعل الناتج عن القول: وهو "مجموع الآثار الناتجة عن الفعل السابق".

النتيجة: الفعل الكلامي الكامل، وبينية: فعل القول+ الفعل المتضمن في القول+ الفعل الناتج عن القول. ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص:41 ـ 43.

[12] باتريك شارودو ودومينيك منغو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر مهيري وحمادي صمود، مرا: صلاح الدين الشريف، ص: 20.

* الأقوال الإنشائية/ الإنشائيات: يقصد بها " فعل شيء ما بمجرد التلفظ بها، بشرط توفر شروط نجاح معينة، وهي لا تصف أعمالا بل في حد ذاتها أعمال، (وفي هذا السياق نتحدث عن أعمال تخص الزواج، المباركة، التوريث، المراهنة)، وهذا ما جعل أوستين "إنشائيات" ". فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، ط1، 2007، ص: 54.

[13] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، ط1، 2009، ص: 138.

* يُرجع صحراوي استعماله لمصطلح "الخبر والإنشاء" بدلا من "الأفعال الكلامية" في الفصل الثاني من كتابه إلى الابتعاد عن فوضى المصطلح، يقول: "وقد آثرنا أن نستخدم في هذا الفصل الاصطلاح العربي "الخبر والإنشاء" بدلا من المصطلح الغربي "الأفعال الكلامية"، وذلك بقصد الانسجام مع المصطلح الأصيل المتداول والبعد عن التشويش الاصطلاحي والفوضى المفهومية، طالما أن غايتنا... هي إثبات وجود ظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي من خلال ظاهرة الخبر والإنشاء". مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص: 49 ، 50.

[14] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص: 49.

[15] المرجع السابق، ص: 50.

[16] المرجع نفسه، ص: 131.

[17] المرجع نفسه، ص: 131، 132.

[18] المرجع السابق، ص: 132.

[19] المرجع نفسه، ص: 133.

[20] المرجع نفسه، ص: 135.